سحاب الكلام

د. فهد العرابي الحارثي

أنيابه الحادة.. المباركة!

اعلنت المحامية كاثلين زيلنير المكلفة بالدفاع عن «لاري ايلير» ان هذا الأخير اعترف في السجن، في ولاية ايلينوي بامريكا، بقتل واحد وعشرين شخصا. وقالت المحامية المذكورة لمجموعة من عائلات الضحايا ان لاري ايلير اعترف لها بجرائمه تلك خلال السنوات الثلاث الاخيرة، وقبل وفاته بمرض الايدز، وكانت قد وافقت على عدم الكشف عن تلك الجرائم الا بعد وفاته، وقد كان لاري ايلير يقول لمحاميته بانه كان يقدم المال والمشروبات الكحولية والمخدرات الى ضحاياه قبل نقلهم الى اماكن معزولة اذ يقوم هناك بقتلهم.

وهذا مواطن امريكي آخر اسمه «جيفري دامر» يعترف في مقابلة تلفزيونية، اجريت معه في السجن، اذ يمضي عقوبة السجن مدى الحياة، يعترف بانه قتل سبعة عشر شابا وصبيا، ودامر هذا لايقتل ضحايا فقط، بل انه يقطعهم اوصالا اوصالا ثم ياكلهم، وهو يقول بانه عندما ياكلهم يشعر براحة نفسية عميقة لانه يشعر بانهم اصبحوا جزءا منه. ولقد بدا دامر في ممارسة هذا «النشاط» منذ سني مراهقته، وسالوه عن شعوره، بعد ان قبضت عليه الشرطة فقال: «انه سعيد للغاية لانه وقع في قبضة الشرطة والعدالة لأن نفسه لاتزال تراوده بسفك المزيد من الدماء، وقتل المزيد من الضحايا وأكل لحومهم» وعن قصة الضحية الاولى يقول دامر: تلك كانت نقطة تحول في حياته اذ انه قام بدعوة سائق سيارة الى منزله، واكرمه واحشمه، وقدم له الطعام والشراب، وتبادل معه اطراف الحديث، كما هو واجب الضيافة، ثم باغته، بعد ذلك، بضربة افقدته صوابه، وكان دامر يبلغ آنذاك الثامنة عشرة من العمر، وليس هناك من داع لاكمال قصة السائق المسكين فذلك متروك لخيال من قرأ مانقدم من سطور.

هذا هو مالقرأناه مؤخرا من اخبار مواطني العالم الحر. وساضع يدي، في هذه الاخبار، على دلالتين: الاولى: انه من الملاحظ ان الجريمة في الغرب ليست فقط مرتفعة من حيث العدد أو النسبة أو المعدلات ولكنها - فوق ذلك - تمضي في بشاعتها وفظاعتها، وقليلا مانسمع في غير الغرب - بمجرمين يقتل كل واحد منهم - وحده - هذا العدد من الضحايا، فما بالك بالتهامهم وأكلهم. واحسب ان ذلك يعود الى ضغوط حضارية شنيعة تتعرض لها المجتمعات التي تفرز مثل هؤلاء المجرمين. اما الدلالة الثانية في هذه الاخبار فهي تتعلق بالعرب وبالمسلمين في هذا الجانب من الكرة الارضية، فلو حدثت مثل هذه الجرائم في بعض مجتمعاتنا ماذا كان سيفعل الغرب؟!

اي طبول ودفوف ستسمعها وهو ينقل هذه الانباء الى جمهوره هناك؟ كم من المسرحيات، والافلام السينمائية، والمسلسلات التلفزيونية، ودعايات الصابون والكلوركس ومعجون الاسنان ستجعل من تلك الجرائم مرجعا ملهما لها؟ كم من صور «البوسترز» سنراها معلقة على الجدران، لأي سبب كان، ويظهر عليها عربي في ثوبه الفضفاض، وغترته المنشاة، وعقاله المنفرج على الطريقة الخواجية، وهو يمسك بين يديه «شخصا» نيئا، لم يطبخ ولم يشو، يغرس فيه انيابه والدماء تنداح على شدقيه ذات اليمين وذات الشمال.. وربما كتب تحت الصورة بخط صغير: «الوجه العربي القبيح!».

حتما سنشاهد هذه الاشياء.. وما هو افظع من هذه الاشياء.. فنحن زاد الغرب الهانيء في السراء وفي الضراء، نحن تحت انيابه الحادة المباركة.. فيما هو واقع وفيما هو متخيل.